[88] لو كان للطفل عقل منذ البداية فلا شك أنه كان يتألم بشدة، لأنه سوف يشعر آنذاك بالضعف والمذلة، فهو لا يستطيع المشي ولا الأكل ولا القيام بأبسط الحركات، يجب أن يلفّوه بقماش ويضعوه في المهد ويغطوه بغطاء ويشطّفوه ويحفظوه. يقول الإمام الصادق ((عليه السلام)) ضمن الأِشارة إلى هذا الموضوع في حديثه المسمى بـ "توحيد المفضل": "فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد، وما قدر أن يكون للوالدين في الأشتغال بالوالد من المصلحة. . . "(2)بالأِضافة إلى أن الانتقال إلى عالم جديد تمام الجدة ومجهول كان سيسبب له من الوحشة والاضطراب ما قد يضر بفكره وأعصابه، لكن تلك القدرة الأزلية التي خلقت الإنسان للتكامل قدّرت فيه كل هذه الأصول. كذلك لو كانت حواسه متكاملة، وفتح عينه فجأة وشاهد مشاهد جديدة واستمعت أذنه إلى الأصوات والأنغام الجديدة، لما كان في وسعه تحملها، وإنما تحصل هذه الأمور بصورة تدريجية وواحدة تلو الأُخرى.

الملفت للنظر أن القرآن الكريم يقول: (وا ُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُوْنَ شَيْئاً وَجَعلَ لَكُمْ السّمْعَ وَالأبْصارَ والأفْئِدةَ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ)(3). وفقاً لهذه الآية فإن الإنسان لا يمتلك أي علم في البداية ولا يتمتع حتى بالأذن والعين، ثم وهبه ا القدرة على السماع والنظر والتفكير. ربما كان ذكر السمع قبل ذكر الأبصار إشارة إلى أن النشاط السمعي عند الوليد يبدأ أولا، وبعد فترة تكتسب الأعين قدرتها على الأبصار. بل إن البعض يعتقد وكما أسلفنا أن للأذن في عالم الجنين مقداراً من القابلية على السماع، فهي تسمع أنغام قلب الأم وتعتاد عليها. 14 ـ غذاء الطفل مُعدّ قبل ولادته: اللبن غذاء كامل، وخاصة لبن الأم الذي يعتبر غذاءً أكمل بالنسبة لوليدها ولا يستطيع شيء في العالم أن يحل محله. يحتوي الحليب على انواع الفيتامينات كفيتامينa،b،d،sap وفيتامينات أُخرى. وقد اكتشف فيه العلماء22 مادة مختلفة، علاوة على انواع الأنزيمات(1). والكثير من الأدوية الضرورية تنتقل عن طريق لبن الأم إلى وليدها. ومن هنا فإن الأطفال المحرومين من لبن الأم يصابون بمختلف الاعراض. يبدو أن لبن الأم لا يغذي جسم الطفل فحسب، بل إنه يروي عواطفه وروحه أيضاً، ولهذا قد يصاب المحرومون من لبن الأم بمشاكل ونواقص عاطفية بعض الأحيان. وعلى هذا الأساس يقول القرآن الكريم: (والْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أرادَ أنْ يُتِمّ الرّضاعَةَ)(2). إن عجائب وغرائب اللبن أكثر من أن يحتويها هذا المختصر، وإذا أردنا أن نترك عنان القلم لمثل هذه الأبحاث نكون قد خرجنا عن بحثنا التفسيري. تمهيد:

(1) (الانعام الآية: 95).